عشّ الدبابير

ناقشت الندوة رواية الكاتب جميل السلحوت "عشّ الدبابير"، الصادرة في أواخر تموز 2007، عن منشورات دار الهدى في كفر قرع.

إبراهيم جوهر:

ينطلق الأديب جميل السلحوت في روايته "عشّ الدبابير" من واقع سياسي واجتماعي وثقافي، هو الواقع الفلسطيني في مدينة القدس ممثلة للوطن الفلسطيني المحتل جميعه.

ولعل خبرة الكاتب الحياتية والمهنية، واهتماماته السياسة الوطنية، أملت عليه هذا الميدان الواقعي، فلم يحلّق في خيال الافتراضات، ولم يبن عالمًا في الخيال ليرمز من خلاله للعالم الواقعي، بل كان الواقع بعينه ميدانًا

obeikandl.com

لشخصياته وأحداثه، حتى إن أماكن حقيقية قد ورد ذكرها، أو الإشارة إليها، وبعضها دارت الأحداث فيها.

وفي هذه الواقعية الميدانية الجغرافية رسالة معرفية توجيهية، تهدف إلى تعليم النشء من القراء الذين تتوجه الرواية إليهم، أهمية الحفاظ على الوطن، والتمسك به، وحبه، بواقعه وماضيه، بحقائقه وغرائبه، بصدقه وكذبه، بأطفاله وعماله وعجائزه، وحتى بحيواناته، وفقر أهله، وجبنهم وشجاعتهم.

من هنا أجد أن الكاتب قد أقام عمله الأدبي هذا "عشّ الدبابير" وبناه وفق ثنائية متضادة، فنجد أنفسنا منذ البداية أمام واقع حديقة الحيوانات بحيواناتها الحقيقية المجتلبة من أنحاء الدنيا المختلفة، ورمزية تعليق الطفلة رباب وتساؤلاتها، بل وتحديها للحيوانات حتى المفترسة منها. ولا يخفى قصد الكاتب من وراء ذلك كلّه؛ فهو يشير بوضوح من خلال قصة الملك الظالم وحكمة الثعبان الباقية "حرق الأبدان أهون من ترك الأوطان" يشير إلى قيمة المرء في وطنه، وأن لا قيمة له بعيدًا عن وطنه الأصلي.

وتقوم الرواية على ثنائية: العلم والخرافة، الذكر والأنثى، الخيال والواقع، النجاح والفشل، المحتل (اسم فاعل) والمحتل (اسم مفعول)، لأن الأشياء تتميز بأضدادها، وبضدها تعرف الأشياء.

هذه رواية لوحات، تذكر بأسلوب غسان كنفاني في رواية "أمّ سعد"، إذ اختلف النقاد في اعتبارها رواية أم لوحات روائية. وهذه اللوحات الروائية تحمل كلّ واحدة منها فكرة جديدة، وهدفًا جديدًا، وواقعًا جديدًا، ظلت تتراكم حتى وصلت إلى "الجدار"، وهي اللوحة الأخيرة. فمن الناحية الفنية، كأن الرواية تقول: إن الجدار يمنع تدفق الحياة الطبيعي، ويصادر أحلام رباب، وقهقهاتها، وبراءتها.

وهذه اللوحات ترتبط بخيط خفي أحيانًا، وواضح جدًّا أحيانًا أخرى. وتخدم غرض النمو في الشخصية أو الشخصيات الفاعلة، فمن خلال هذه اللوحات، توضحت شخصية الطفلة رباب من خلال حوارها، وأفكارها، وأحلامها، وطموحها، وتساؤلاتها حتى أطلقت مذيعة المدرسة تساؤلها المستغرب: أي جيل هذا؟!

إن رباب شخصية أنموذج؛ هي شخصية الجيل الجديد المتحدي، والواعي الواثق من نفسه، والعامل ليسود العدل، والمحارب للظلم، وإن كانت بعض تصرفاتها قد بدت غير واقعية، إلا أنها مبررة من ناحية المهمة التربوية النفسية الّتي تمثلها وتحملها. باختصار؛ هي ليست ذاتًا واحدة، بل ذوات متعددة في شخصية روائية، سيحبها القراء ممن تتوجه الرواية إليهم، وستمارس تأثيرها عليهم وفق مبدأ التعلم بالقدوة.

لقد حملت الرواية عدة قيمٍ أوجزها في الآتي:

- القيمة المعرفية.
- قيمة الخيال، وأهميته والتفريق بينه وبين الكذب.
- الثقة بالنفس، والوقوف عند الرأي.
- قيمة الحرية.
- لا قيمة للمرء بعيدًا عن وطنه الأصلي.
- عدم السكوت على الظلم.
- الأرض إذا أكرمتها أكرمتك.
- صلة الرحم، والحفاظ على الجار.
-التهادي بالكتب.
- التفكير والاحتياط قبل الإقدام على المغامرة.
- الدعوة إلى التجريب.

أما في ما يتعلق بأسلوب الرواية، فقد جاء أسلوب الكاتب الأدبي مشوقًا، سلسًا، توافرت فيه عناصر التشويق والجذب، وأسهمت الأحداث والطرائف في إغنائه، ولغة الرواية سهلة أدبية مفهومة، تنقل هدفها بيسر وسرعة.

من هنا جاء وصفي لها بأنها رواية للفتيان والفتيات تكتسي بلون الأرض، وتفوح بنكهة محلية من حيث أسماء الشخصيات، والأماكن، والاعتقادات الشعبية، وهي ترتقي بأسلوبها، وأفكارها، ومضمونها،

بنمط تفكير القارئ، لأن خبرة كاتبها قد وفرت لها هذا النجاح. وهي تنتمي إلى مستقبل جميل إبداعي فاعل، يزينه شبان هذا الوطن وشاباته، الذين هم الآن على مقاعد الدراسة، وفي سن الفتوة، الذي أغفله كتاب أدب الأطفال في عالمنا العربي عمومًا، وفي ساحة أدبنا الفلسطيني على وجه التحديد.

إن هذه الرواية تبشر بفتح جديد في عالم الكتابة للفتيات والفتيان بأسلوبها ومضمونها، وهي تضاف إلى الإنجازات الإبداعية القليلة لبعض أدبائنا، الذين طرقوا هذا الميدان في أدب الأطفال الفلسطيني.

موسى أبو دويح:

"عشّ الدبابير".. رواية التأريخ الجمالي لقرية السواحرة

"عش الدبابير" لجميل السلحوت، رواية تصور لَسْعَ الاحتلال اليهودي لفلسطين، وجرائم اليهود ضد الفلسطينيين، رجالًا ونساءً، شيوخًا وأطفالًا، تصوره وتظهره بأنه أشد وأنكى من لسع الدبابير الّتي تستثار في يوم صائف، شديد الحرارة، كأنه العشر الأواخر من شهر تموز هذا العام 2007م.

في هذه الرواية يؤرخ الكاتب لبلدة السواحرة: شرقها وغربها، أو ما يسمى بالسواحرة الشرقية والسواحرة الغربية قرب القدس الشريف،

والّتي يفصل بينهما واد النار الذي يمتد من القدس إلى البحر الميت. فيذكر من السواحرة الشرقية: جبّ الروم، والظحظاح، وجبل المنطار، وخربة جنجس، وأم الرتم، وغيرها، أو قل البرية، والبقيعة، والزرّاعة. ويذكر من السواحرة الغربية: جبل المكبر، والشيخ سعد، والجديرة، وبير المشمشة، وهذه كلّها أسماء أماكن لا يعرفها كثير من سكان السواحرة الآن، وإنما يعرفها من عاش فيها، وزرع وحصد ودرس من الرجال والنساء الذين نيّفوا على الستين.

فالكاتب بهذا يعرّف الفتيان والفتيات إلى أسماء أماكن جديدة، من باب (اعرفْ بلدك يا بُنيّ)، وكذلك يؤرخ الكاتب لتراث، وقصص، وأغانٍ، ورُقىً، وحكايات، كانت معروفة عند السواحرة قبل أكثر من أربعين عامًا، إلا أنها اليوم نُسيت، ولا يكاد يعرفها إلا القليل، فهو إذًا بـ(عشّ دبابيره) قد ذكّرَ بالتراث، وأحيا القصص، وأعاد الحكايات والرُّقى والأغاني إلى الأذهان، فكأنها صارت واقعًا معيشًا في هذه الأيام.

ولقد جعل الكاتب روايته سبعة عشر عنوانًا، بدأها بتقديم للروائية ديمة السمان، وختمها بتعليق للأستاذ الأديب إبراهيم جوهر، وكتب الشيخ خمسة عشر عنوانًا أو موضوعًا، بدأها برحلة مدرسية إلى حديقة الحيوانات، وهي أعقد موضوع في الرواية، وفيها يحاول الكاتب أن يشحذ أذهان القراء ليعرفها مقصود هذه الرحلة وغاياتها، وهي محاولة

إقناع الحيوانات في حديقة الحيوان بالعودة إلى الغابة، ورفض استعباد الإنسان، لها وحبسها داخل أقفاص حديدية، تحدّ من حركتها وحريتها.

وختمها بعنوان: الجدار، وهو الحد الفاصل الذي أقامه يهود لفصل ما يعتبرونه دولة لهم عن سائر مدن وقرى الضفة الغربية. فهذا الجدار فصل السواحرة الشرقية والشيخ سعد عن جبل المكبر، فبعد أن كانت بلدة السواحرة بلدًا واحدًا متصلًا، ينتقل سكانه من مكان إلى مكان بسهولة ويسر- وللمناسبة بلدة السواحرة من أكبر مدن وقرى بلدات فلسطين مساحةً، فحدودها من جبل المكبر غربًا إلى البحر الميت شرقًا، ومن بلدة العبيدية والتعامرة جنوبًا إلى الخان الأحمر وأبو ديس شمالًا – أضحت السواحرة اليوم مجزأة، ومنفصلًا بعضها عن بعض بجدار أعلى من سور برلين كما يقول الكاتب، وصار الأخ الذي يقيم في السواحرة الشرقية لا يستطيع أن يصل إلى أهله وإخوته في جبل المكبر، وإن أُعطي تصريحًا بالدخول، وسمح له بذلك، فسيحتاج إلى أن يقطع أكثر من ثلاثين كيلو مترًا حتى يصل إلى أهلهن بعد أن كان في مقدوره أن يصل إليهم في دقائق معدودة.

وبين موضوعي الرحلة المدرسية والجدار ثلاثة عشر موضوعًا شيّقًا، جمع فيها الشيخ جميل أكثر الموروث عند السواحرة من قصص، وأمثال،

وحكايات، كان يُحدّثها السلف للخلف، فجمعها في (عشّه)ن وأثبتها في روايته، وحفظها من الضياع.

ولقد أحسن الشيخ في حصر أبطال روايته في عدد قليل، بل في عائلة واحدة، هي الابن، والأمّ، وأولادهم الثلاثة- ولدان وبنت- والجدّة، بحيث يسهل على القارئ أن يتعرّف بسهولة إلى شخوص الرواية. وأبدع في إعطاء كلّ واحد من أبطال روايته الدور المناسب له، والمنسجم مع ما هو متعارف عليه عند السواحرة؛ فدور الجدّة مميّز، ودور الأب رائع، ودور الأمّ جميل، وأدوار الأطفال الثلاثة ممتعة، حيث رسم الكاتب بها لوحة فنية لحياة السواحرة منذ أكثر من خمسين عامًا، وحتى هذه الأيام، وعلى الأخصّ ما يعانونه في هذه الأيام، وبعد إقامة الجدار.

وأخيرًا، إني عاتب على الشيخ لأنه لم يراجع روايته مراجعة تليق به كشيخ وأستاذ، فجاء فيها قول الله سبحانه: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع العليم". والصحيح هو السميع البصير (ص21). وجاء في الصفحة التاسعة: حتى يقضي الله أمرًا كان مكتوبًا. والصحيح: أمرًا كان مفعولًا. وجاء في الصفحة 79 "فدعهم في ضلالهم يمرحون". والصحيح: يعمهون. هذا بالنسبة إليه كشيخ. أما بالنسبة إليه كأستاذ، فإنه قد استعمل كثيرًا من الجمل والكلمات استعمالًا معينًا، ولو استعمل

غيره لكان أجود، وأفصح، وأبلغ، فمثلًا: جاء في الصفحة 90: حتى أنه استطيب النوم على الأرض: والأفصح: استطاب.

وفي الصفحة 77: فهما نادرًا ما يتجالسان، والأصوب: يجلسان معًا.

وفي الصفحة 76: لم يبلغ السادسة عشر عامًا، والأجود: لم يبلغ ستة عشر عامًا. وفي نفس الصفحة: وأشعل المذياع، والأحسن: وفتح المذياع.

وفي الصفحة 70: وسيحكمونك غرامة عالية جدًّا، والأفصح: بغرامة.

وجاءت كلمة (فراس) في أكثر من ثلاث صفحات منصوبة ولم ينصبها: في الصفحة 67 غمر الفرح فراس، والصحيح: غمر الفرح فراسًا. وفي الصفحة 33 جرّا فراس وإسماعيل، والصحيح: جرّا فراسًا وإسماعيل. وفي الصفحة 6 لماذا لا تريدين فراس أن يسمع؟ والصحيح: تريدين فراسًا.

وجاء في الصفحة 54: ويتركنهن أثناء العمل ويرضعنهن والصواب: ويتركنهم ويرضعنهم.

وجاء في الصفحة 31: عندما كان الناس يعتاشون على الزراعة والصحيح: كان الناس يعيشون من الزراعة.

وجاء في الصفحة 29: فيتركها الأهل لتبقى بذورًا، والأحسن: لتصير بذورًا.

وجاء في الصفحة 23: كلّ منهم يريد أن يحدثه عما شاهدوه في المدينة المقدسة، والأصوب: عما شاهده.

وجاء في الصفحة 21: استأذنت من زوجها والأحسن: استأذنت زوجها.

وفي الصفحة 16: مع أن عادة أكل المنسف هي باليد، والأحسن: ويؤكلّ المنسف عادة باليد لا بالملعقة.

وفي الصفحة 11: ارتدت المريول الأزرق الذي بلا أكمام، والأحسن الذي ليس له أكمام.

وفي الصفحة 6: طلبت منا المعلمة أن نصطف اثنين اثنين وأن يمسك الاثنان بيدي بعضهما، والأحسن: اثنتين اثنتين وأن تُمسك كلّ واحدة من الاثنتين بيد الأخرى.

وختامًا الرواية رائعة من روائع الشيخ جميل، آملًا أن يستدرك الأخطاء في الطبعة القادمة إن شاء الله. وإلى المزيد أيها الشيخ.

رياض عبد النبيّ:

"عشّ الدبابير"، هذا العنوان الذي يتناول الخيال بكلتا يديه ليزيح ناظره إلى هذه المدينة المنكوبة، والّتي تربعت في خضراتها صفر النحل وحمر الدبابير، تأكل أطايبها، وتُرعب أهلها الطيبين.

obeikandl.com

رواية عشتها بكلّ تفاصيلها كلمة كلمة، فهي تلامس شغاف القلب، وتدغدغ بأصابع أصالتها جسد الذاكرة النائم علّه يصحو من هذا الرقاد الغريب، الذي أحاله إلى حالة من الانفصام في التفكير والتصرف.. الانفصام في التعامل مع هذا الواقع الذي يدفع بكلّ ما يملك من قوة كلّ ما يخطر على البال من نزعة حب الوطن، والميل الغريزي لاحتضان الأرض، وتقبيل هذا التراب الطاهر. ما أجمل أن يعيش فتياننا وفتياتنا في أفياء هذه القصص الممتعة، لتسد بعض الفجوات الّتي نشأت من التناقض بين الأصالة وواقع الاحتلال.

أُسميها قصصًا قصيرة، تحوم أحداثها حول هذه العائلة الأصيلة الّتي ضربت أطنابها على سفح جبل المكبر المطل على المسجد الأقصى، فتستمد من بادية القدس أصالتها العربية، لتثبت، لمن لم يعرف، أن أرض القدس عربية أصيلة بلا شك، وستبقى كذلك ما بقيت هذه العائلة، وما بقيت حكاياتها، وتاريخها، وأمثلتها الشعبية. إنها الزيتونة المتجذرة الّتي لا تقوى أي غرقدة على اقتلاعها.

من ناحية أخرى، إن قوة اللفظ، وجمال المعنى، وسموّ الهدف، كان الطابع على هذه الرواية الجميلة، والّتي يدرك قارؤها- خصوصًا من اختلط بالكاتب أو استمع له أو سمع عنه- أن معظم تفاصيل هذه القصص والحكايات كانت تعبّر عن طبيعة الحياة الأسرية الّتي يعيشها

الكاتب، وما تحمله من تميز تربوي، خصوصًا في علاقة الوالد مع أولاده من دعم معنوي، وتشجيع شاعر فلسطيني، يقيم في القدس، على خوض المغامرة وحب الوطن.

إنها حكاية فلسطيني.. ابن فلسطين.. ابن القدس وفلسطين.. فما أجملها من حكاية! وما أجمله من كاتب!

ديمة جمعة السمان:

"عشّ الدبابير" للأديب جميل السّلحوت، لون جديد من الأدب، يخاطب فئة عمرية حسّاسة، بأسلوب ممتع، وشيّق، تصلح لحلقات تلفزيونية متكاملة.

لقطات، ووقفات إنسانية، لحياة عائلة فلسطينية، تتكون من أب، وأم، وأولادهما الثلاث: فارس ورباب ويزيد، والجدّة عائشة. سجلها جميل السلحوت في كتابه "عشّ الدبابير".

"عشّ الدبابير"، عنوان موفق لمجموعة قصصية مرتبطة مع بعضها البعض، منتقاة، تلخّص الواقع الفلسطيني لحياة الأسرة الفلسطينية بحلوه ومرّه. مجموعة غنيّة بالأحداث على المستوى التراثي، والثقافي، والاجتماعي، والتربوي، والسياحي، والجغرافي، والتاريخي، والوطني.

تقدم المعلومة بصورة لطيفة شيّقة، ومفيدة غير مقحمة، يسهل استيعابها وتثبيتها في ذهن القارئ دون عناء.

أتى الأديب بقصص حقيقية أتت كالخيال، بعضها كان هو بطلها قبل عقود من الزمان، تتحدث عن طفولته المعذّبة، فيتوه القارئ بين الواقع والخيال، ويدخله عالم المغامرة الممتع، ويغني ثقافته بأحداث لا يسمعها الطفل إلا من جدّه أو جدّته.

كما أنه لم يهمل الجانب الإبداعي، من حيث الصور، والوصف الدقيق الذي يجعل القارئ يعيش الحدث، ويتعاطف مع الشّخوص.

لون جديد من القصص التربوية النفسية، تخاطب فئة عمرية حساسة، تفتقر إلى الكتابات الموجّهة بأسلوب ممتع وعميق.

هكذا قدم الأديب جميل السلحوت "عشّ الدبابير" من خلال خمس عشرة قصة تحمل مضامين مختلفة، وقد طرحت بعضها بصورة رمزية غير مباشرة، خصوصًا في القصة الأولى التي بعنوان "رحلة مدرسية"، حيث كانت الرحلة إلى حديقة الحيوانات، وهناك قصّت الطفلة رباب قصتها الخيالية، والحوار الذي جرى بينها وبين كلّ حيوان رأته هناك، فأثارت قضية التمسك بالوطن، وعدم الرضوخ للاحتلال وممارساته المهينة من خلال رفضها عملية (التفتيش) من كلّ حيوان تصل قفصه، حيث خضع جميع زوّار الحديقة للتفتيش، ما عداها هي وصديقتها.

أما القصة الثانية الّتي أتت بعنوان "المعلمة تخطئ ورباب ترفض الاعتذار"، فقد عالجت موضوع التمرد على الظلم. جاء الظلم على يد معلّمة رباب، حيث ضربت زميلها بالمسطرة على يده، ولم يكن هو المذنب، بل طالب آخر، إلا أن الأمور اختلطت على المعلّمة وظنّته المذنب، فاعترضت رباب، ورفضت بشدة الموضوع، كما أصرت على الانتقال إلى شعبة أخرى عند مُدرسّة أخرى.

القصة جميلة ومفيدة، إلا أنني شعرت ببعض المبالغة في الحوار، حيث تحولت جرأة الطفلة إلى تمرّد غير مقبول تربويًّا؛ فعندما اعتذرت المدرّسة لرباب، وطلبت منها العودة إلى صفها (بالطبع بعد أن وصل الأمر إلى مديرة المدرسة، والّتي تدخّلت بدورها)، قالت رباب (ص13): "لن أقبل عذرك، هل تريدين أن تضحكي عليّ بهذا الاعتذار، لن أعود إلى صفك مرة أخرى". وتدخّلت المديرة، لكن إصرارها ورفضها زادا حدّة.

وفي (ص14)، حاولت المعلمة، بتعاون مع المديرة، التأثير عليها من خلال إعطائها قطعة شوكولاته وعلبة عصير، إلا أن رباب رفضت بشدة قائلة: "هل تريد أن تقدم لي رشوة، هذه المعلمة القبيحة؟"، فبكت المعلمة شعورًا بالإهانة.

وحاولت أمّ رباب التدخل لإعادتها إلى صفها، فرفعت رباب صوتها قائلة (ص14): "إذا ضحكت عليك المعلمة فلن تضحك عليّ، إذا لم

تسمح لي المديرة بالانتقال إلى الشعبة الأخرى فإنني سأعود إلى البيت، وسأخبر والدي بالذي حدث، وسأطلب منه أن يرسلني إلى مدرسة أخرى".

على الرغم من أنني أدري أن تلك الحادثة حصلت مع ابنة الكاتب الصغيرة، ولم يزد حرفًا واحدًا عليها، فلم يكن مضطرًا لذلك، إلا أن الواقع أحيانًا يكون أكثر خيالًا من الخيال، حيث إن ما جرى استثنائي جدًّا، فالطفلة (طفرة)، والهيئة التدريسية (على غير العادة) واعية تمامًا لطبيعة الطفلة، فاستطاعوا استيعابها، والذي ساعد على ذلك العلاقة المسبقة بين والديها والمديرة، الّتي حاولت جادة مجاملة الوالدين، وإلا لما تصرفت المديرة بهذا الشكلّ. هذا ما أعتقده.

القصة الثالثة كانت بعنوان "وليمة". كانت القصة رائعة، بدأها بوصف الطبيعة بشكلّ موفق جدًّا، ثم أتى بالقصة الّتي عكست طفولة بريئة لطفل العائلة الصغير (يزيد)، حيث أعجب بالضيفة، وسأل والده بكلّ براءة أمام الجميع، بمن فيهم أمه وزوج فاطمة الضيفة: "لماذا لم تتزوج فاطمة هذه! إنها أجمل من أمي؟".

إلا أن نهاية القصة تنتهي، أيضًا، ببراءة الصغير حين رفض أن ينام إلا بحضن أمه قائلًا: "أنت أجمل امرأة يا أمّي".

وفي القصة التالية بعنوان "في زيارة المسجد الأقصى"، أخذ الكاتب بيد القارئ في جولة في القدس الشريف خارج السور وداخله، عرّفت القارئ، الذي لم يدخل القدس يومًا، إلى طرق وشوارع القدس، والمسجد الأقصى وأروقته، وثواب من يصلّي فيه. كانت جولة دينية سياحية موفقة جدًّا، كما أنه تم ربطها بالاحتلال وممارساته بصورة لبقة، عرّفت القارئ إلى حق الفلسطيني المسلوب بالعبادة، فمن لا يحمل هوية زرقاء لا يسمح له بدخول القدس للقيام بواجباته وطقوسه الدينية.

وبعدها انتقل الكاتب إلى عنوان آخر "بين المقاثي"، قدّم من خلالها معلومات زراعية يستفيد منها الكبير قبل الصغير، وهي عن كيفية زراعة الفقوس، والكوسا، والباميا، واللوبياء، والبندورة... الخ، ومدى أهمية استغلال الأرض وزراعتها، حيث توفر لهم اكتفاءً ذاتيًّا، يغنيهم عن الحاجة، خصوصًا في سنوات المحل. كما عرّفنا إلى الدبابير ولسعاتها وخطورتها. لقد تعرض فراس وأصحابه للسعات الدبابير ما اضطر والديه لنقله إلى مستشفى المقاصد في القدس.

لقد كان ما حصل لفراس سببه الحسد. هذا ما فسرته جدته من خلال القصة التالية الّتي عنونها الكاتب "الحسد هو السبب".

كما ركّز هنا السلحوت بشدة على النظرة الاجتماعية للذكر والأنثى؛ فالبنت لا تُحسد، ولكن الولد يُحسد، فهو ثمين، ولا يحسد أحدٌ أحدًا إلا

على الشيء النفيس. ثم سألت الجدّة ربها في (ص39): "لماذا يا رب لم تخلق رباب ولدًا ذكرًا لتكون عونًا لوالدها.. البنات همّهن للممات".

كما أنه في (ص40)، عندما عاد والدا فراس، مازن وصفية، من المستشفى في الصباح الباكر، قامت صفية بتحضير الفطور للجدة والأطفال، على الرغم من أنها كانت متعبة مثلها مثل زوجها مازن الذي توجه من فوره إلى للنوم. وعندما انتهت من مهامها، توجهت إلى غرفة النوم لتأخذ قسطًا من الراحة، فإذا بصوت الجدّة يتبعها: ابتعدي عن مازن ولا تدخلي عنده، دعيه يستريح. وكأن ليس من حقها أن ترتاح هي الأخرى لمجرد أنها أنثى. وهنا يؤكد الكاتب بكلّ ما جاء في القصة بأن مجتمعنا هو مجتمع ذكوري، ينصف الذكر على حساب الأنثى.

وفي القصة الّتي تلتها بعنوان "الأفاعي"، طرح الكاتب موضوع مهمًّا جدًّا، وهو حق الجار على الجار، واحترام الجيرة، فحتى الأفاعي تحترم جيرانها ولا تؤذيها.

إنّ حادثة اللسع الّتي تعرّض لها فراس، أشعرته بأهميته ومعزّته ممّن حوله من الأهل والأصدقاء والجيران. جاء هذا بعنوان "مفاخرة"، وهي قصة جديدة من قصص "عش الدبابير". "فقد كانت علب الشوكلاتة المختلفة الألوان تتكدس فوق بعضها البعض، بالإضافة إلى أكياس بلاستيكية مليئة بأنواع مختلفة من الفاكهة. واحد فقط شذّ عن القاعدة،

إنّها معلّمته، لقد أحضرت له باقة زهور جميلة، ورواية "أنا وجمانة" للأديب محمود شقير.

جاء هذا في (ص49): "انت الهدية لافتة للانتباه، وازداد شعور فراس بأهمّيّة الهدية عندما كان يسأله الطبيب أو أحدى الممرضات: من أين لك هذه الزهور الجميلة وهذه الرواية الرائعة؟".

إذًا، فهي دعوة من الكاتب بضرورة تقديم (الكتب) كهدايا في المناسبات، حيث إنها هدية قيّمة ومفيدة، تلعب دورًا في التشجيع على القراءة، الّتي أصبحت نادرة بشكلّ عام، وتحديدًا عند الفتية.

أما في قصة "الكهوف المسكونة"، فقد تطرّق الكاتب إلى الخرافة والجهل خصوصًا لدى الكبار بالسّن، الذين يفسرون كلّ أمر غير مألوف بتفاسير خاطئة، يرجعونها إلى الجن والأشباح وما شابه، ولا يقتنعون بأية تفاسير أخرى كانت علمية أو منطقية، ويكذّبون كلّ من يحاول تفسير الأمور لهم على حقيقتها، بل ويتّهمونه بالكفر.

أمّا رباب في قصة "تجربة فاشلة"، فقد حاولت جاهدة أن تعيش (تجربة الفشل)، ولم تنجح، حيث إن قناعات معلماتها بذكائها وقدراتها أفشلت تجربتها، وعادت من جديد إلى دائرة الطالبات المتفوّقات.

أمّا فراس، فقد نجحت تجربته في قصة "التجريب"، على الرغم من عدم قناعة أهله بقدراته، إلا أن إتاحة الفرصة له بالتجريب ساعده على

اكتشافه، واكتشاف أهله لمواهبه. وهذه دعوة لأولياء الأمور لإتاحة الفرصة لأولادهم بخوض التجربة، لأنها الوسيلة الوحيدة الّتي تساعد الأطفال والفتية على اكتشاف مواهبهم، وبالتالي تطويرها.

ونعود إلى الاحتلال، ومآسيه، وحواجزه، وجداره الذي أصبح أمرًا واقعًا، وضرائبه الّتي لا تبقي فلسًا في جيوب المواطنين، من خلال قصة "دار الظالمين خراب"، وقصة "الحواجز"، و"قصة (الجدار".

أمّا قصة "القضاء والقدر"، فقد كانت مؤثرة جدًّا، فبعد أن عشنا معظم أحداث القصص مع الجدّة (عائشة)، وخصوصًا في قصتها الأخيرة عندما عادت بنا إلى الخلف عشرات السنين، تحكي لنا قصتها مع الجد (والد مازن) ووالدته، حيث أطلع الكاتب القارئ على عادات الريف الفلسطيني في ذلك الزمان، وكيفية اختيار العروس... الخ.

كما تحدثت الجدّة عن حياتها السعيدة مع الجد الّتي استمرت خمسًا وأربعين سنة، فإذا بنهاية حياة الجدّة تأتي حزينة جدًّا، تحت عجلات سيارة. كما نجح الكاتب في وصف شعور العائلة الحزين، وفقدانهم لها، خصوصًا (يزيد) طفلهم الصغير.

أعتقد أن الرواية، الّتي كتبها الأديب جميل السلحوت، والّتي حصرت في خمس وتسعين صفحة من القطع المتوسط، وصدرت عن دار الهدى للطباعة والنشر، كانت موفقة جدًّا، غطّت العديد من القضايا

الاجتماعية، والتراث، والفلكلّور في الريف الفلسطيني. إلا أن الغلاف لم يعطها حقها، للأسف. كنت أتمنى على دار النشر أن تعمل على إخراج أو حتى اختيار غلاف أكثر جاذبية، فالغلاف الحالي يعطي انطباعًا بأن الكتاب توثيقي، وليس رواية.

كما أتمنى على الكاتب أن يواصل كتاباته لهذه الفئة العمرية- شبه المحرومة- من كتابات قيّمة لهم.

حذام العربي:

سيرة المكان وأصالة التراث في رواية "عشّ الدبابير"

كلّ عنوان يحكي موقفًا أو حدثًا منفصلًا عن الآخر تمامًا، والرابط الوحيد بين كلّ العناوين، أو إن شئت الفصول، هو العائلة. عائلة عربية فلسطينية تسكن في إحدى الضواحي الجنوبية لمدينة القدس. يرصد النص مواقف وحكايات وتحديات مختلفة من حيث المضمون، تواجهها هذه العائلة أحيانًا فرادى، وأحيانًا مجتمعة. بعض هذه المواقف تعنى بالجوانب الاجتماعية والتربوية، وبعضها يعرض المشهد السياسي الأمني لحياة الفلسطيني في مدينة القدس، الرازحة تحت نير الاحتلال الإسرائيلي. والبعض يلقي نظرة على تراث فلسطينيّ، منه ما هو آخذ في الاندحار والهزيمة، ومنه ما هو آخذ بالانحسار.

يتتبع النص حياة هذه العائلة، على مدى ست سنوات على الأقل.

"عش الدبابير" إذًا، ليست رواية بالمعنى الكلّاسيكي المتعارف عليه، ذات حبكة، وشخصيات نامية، وغير ذلك من العناصر المألوفة للرواية. إنها شذرات حياتية يومية لعائلة فلسطينية مقدسية عادية متوسطة الحال.

الزمان- العنوان الأخير في النص يشير إلى بناء جدار الفصل العنصري على الأراضي الفلسطينية.

المكان- مدينة القدس.

الشخصيات الرئيسة- الجدّة، والأب، والأم، وثلاثة أطفال تتراوح أعمارهم، في بداية السرد، بين الثالثة والثامنة.

الكاتب مسكون بهاجس المكان، وكأنه يخشى تلاشيه. يتبصر رياح السموم الاحتلالية والعولمية تعصف به، تُعمِلُ معاول الهدم في أساساته، علّه يتهاوى، أو ينهار تحت أقدام جلاوزة القرصنة الاحتلالية والنهب العولمي. المكان يصبح ظلًّا باهتًا لنفسه، إنه يشحب، يفقد اسمه، ينسى اسمه، يتبنى لنفسه اسمًا جديدًا، وعنوانًا جديدًا، وثوبًا جديدًا لائقًا بالموقع الجديد، "أورشليم". يتصدى النص لهذه الرياح العاتية، بتسجيله للحياة في أدق تفاصيلها، في أوان المقاثي في منطقة الديارة في حي الشيخ سعد، وأيام الحصاد في منطقة الضحضاح. يرصد للكهوف والمغر على أكتاف التلال المحيطة بالقدس، يعيد رسم ملاعب الطفولة ومرابع الصبا

بأسمائها، وكأنه يسعى لتخليدها، يعلن للملأ وعلى الملأ، نحن هنا، وإننا باقون على العهد.

يقفز من بين مفردات النص، شعور بالخوف على القدس. إنها تتهاوى.

القدس تتساقط كقطرات الماء، في صحراء "الملوك والرؤساء العرب والمسلمين" القاحلة، وتتبعثر مستوطنة هنا و"مَحْسوم" (حاجز) عسكري هناك، فيهرع الكاتب محاولًا، بسلاحه الوحيد، قلمه، وقف النزيف، بتوثيق لأيام حصادها، يُذكر القارئ، الفتيُّ الناشئ، بأن لهذه الأماكن، أهلًا وناسًا وأسماء في الذاكرة والوجدان الفلسطيني، فهذه قمة جبل المنطار، وذلك وادي الدكاكين، إنها عربية الهوية، وهذه خربة جنجس (الأثرية)، وهناك مرج الخلايل؛ إنها فلسطينية المنشأ، وإلى كلّ الاتجاهات شرقًا، وغربًا، شمالًا، وجنوبًا، يسمي المواقع، دمنة بني هلال، جوفة السوق، وأم الرتم، والبقيعة، وبيار موسى، وغيرها من الأسماء المنحوتة في النفس الفلسطينية المؤرقة والمتعبة، وقد باتت ذاكرتها مُشَوّشَة.

الوطن، إنه إنسان وزمان ومكان. يربط النص في بعض عناوينه الأماكن وأسماءها بالتراث الشفوي، في محاولة لترسيخ مفهوم الوطن. إنه الوطن الآخذ في الانجراف والتداعي أمام سيل الاحتلال العرمرمي، فلا يجد إلا أن يستدعي تفاصيله الصغيرة لتشهد، في مغارة أمّ خليل، والّتي

تتسع لعدة "بيوت"، حيث سكنت الجدّة عروسًا، وكانت الأفعى تجاورهم، وللجار حق مستحق، كطرح السلام. وهناك في الحقل يستذكر قصص الحصادين، والجنّ الذين يسكنون الكهوف، والعفاريت والمردة، وكرامات الأولياء.

يعرض الكاتب إرثه الحضاري الاجتماعي بتفاصيله الصغيرة، من معلومات تراثية ذات إيماءات إيجابية وجميلة، عن الأمثال الشعبية السائرة على لسان العامة، إلى توثيق لقصص الحسد و"الرقية"، وأساطير المردة، وخرافات العفاريت، وحتى أطباق الغذاء الفلسطينية التقليدية، وتحضير الفريكة من القمح الأخضر.

يسجل معلومات تراثية لحياة منطقة، ولا تخلو هذه المعلومات من فوائد تثقيفية جانبية ذات أهداف تربوية للنشء الجديد.

إنه نص تسجيلي، توثيقي، معلوماتي، عن تراث العامة والحياة في القدس، وتوصيف لبعض معالمها.

يعرج الكاتب، في بعض العناوين، على تسجيل بعض التجارب الحياتية اليومية للفلسطيني تحت نير الاحتلال، مشاغل وهموم الفلسطيني وتحدياته، المعاناة اليومية في القدس، مواجهة سياسة الاحتلال الّتي تمارس سياسة تهجير هادئة، القمع الأمني والسياسي اليومي، بطاقة الهوية الشخصية كعنوان للإذلال والمهانة.

يتعرض النص لبعض القوانين الّتي تجعل من حياة الفلسطيني في القدس سلسلة أحداث من الإرهاب، والاضطهاد، والقمع اليومي، في ظل هذه القوانين وبموجبها، كقضم الأراضي العربية وتخصيصها للمستوطنات الّتي تتوسط الأحياء العربية، ويستعرض بعض قوانين الاحتلال الّتي تقيد حرية تنقل الفلسطيني في القدس، والتقييدات الأخرى الواقعة على المواطن الفلسطيني، والتعقيدات والعقبات "القانونية" الّتي يفرضها الاحتلال على استصدار رخص لبناء البيوت للفلسطينيين، ومصادرة الأملاك المنقولة، والضرائب الجائرة، وتقطيع أوصال القدس وشرذمتها، وبترها عن ظهيرها وامتدادها الإنساني والحضاري والديمغرافي الفلسطيني الداعم والمؤازر، وبالتالي سلخها النهائي عن فلسطين، وكلّ ذلك وفق "القانون الإسرائيلي"، الذي يضرب عرض الحائط بالقانون الدولي.

فصول النص تطرح في ثناياها السؤال الأساس: هل القدس هي مكان سكن أو إقامة الفلسطيني فقط؟! أي أنها مكان السكن العادي، للمواطن العادي، أم أنها تستوطن خبايا ذكرياته الدافئة، وذاكرته المهزومة؟ هل تختزل في هزيمتها، سقوط الشعوب العربية على أعتاب بلاط الاحتلال؟! هل في ظلال أسوارها حنين مكلوم لأمسها فقط؟! أم أن حجارة أزقتها لا تزال تنضح بتضرعات أهلها لغدها؟! أم أن بساطير

الاحتلال الإسرائيلي قد نجحت في أن تكتم النفس الفلسطيني والعربي في المدينة، وأن تهزمه وتسحقه شرّ هزيمة وإلى الأبد؟!

قد يظن القارئ العربي، من المحيط إلى الخليج، أن القدس مدينة، بالمعنى المدني الغربي، أو أنها ذلك الصرح الحضاري، الذي يقتصر على المعالم الدينية ذات العبق التاريخي الروحاني والوجداني. إنها هجين من كلّ ذلك، ولكنها ليست فقط كذلك. فالقدس، بنسيجها السكاني الذي تتشكّل منه أشبه بقرية، أو قل إنها مجموعة قرى، شكّلت ريف المدينة وظهيرها. وقد زحفت إليها "أورشليم" بأوامر إدارية من الاحتلال، وضمتها وابتلعتها. بالتالي، ترى في القدس خليطًا هجينًا من عائلات مقدسية المنشأ، وعشائر بدوية، أو أفخاذًا وبطونًا من حمائل نزحت إلى القدس من المدن الفلسطينية الأخرى. في القدس كذلك، تراث المدينة كمركز خدماتي تجاري وسياحي، وفيها التراث القروي والبدوي.

إنها مرآة المجتمع الفلسطيني، وفيها ينعكس النسيج الإنساني الفلسطيني في كلّ مكوناته. من بين كلّ ما ذُكِر، يختار الكاتب الوقوف عند العادات العشائرية البدوية في فض الخلاف وإقامة الصلح بين طرفين متنازعين، وكأنه يريد الوشاية بأصوله البدوية.

تطغى على الحوار في أغلب العناوين، نبرة ميكانيكية معلوماتية، وكأنها جاءت لهدف معرفي مجرد. أحيانًا مجانبة للمشاعر، وأحيانًا أخرى

مكثفة لها، دونما موجب. وفي بعض الأحيان يرتفع إيقاع الحوار المعلوماتي، الميكانيكي، ليصل إلى العنف والتعنيف اللفظي، دون مبرر يستدعي ذلك في السياق السردي. فمثلًا في العنوان الثالث "وليمة"، وردت مفردات مثل: "غضب، كذب، نهرته" (ص18)، في حين لم يؤطر أو يمهد النص، لسياق يبرر تصعيدًا لفظيًّا عنيفًا للموقف. كذلك في عنوان "الحسد هو السبب"، وردت، أكثر من مرة، عبارات على سبيل المثال: "اسكتي يا بنية... اخرسي يا بنت... قطع الله لسانك... يا قصيرة العمر... الله يريحنا منك..." (ص37-39). كما تكررت عبارة "اخرس يا ولد" على لسان الجدّة، أكثر من مرة، وفي أكثر من عنوان، مثلًا (ص60)، و(ص89)، أو على لسان الأمّ لابنتها "طالبة منها أن تغلق فمها" (ص14).

تميزت أغلب فقرات الحوار بأسلوب المناكفة السلبية، والحوار الغاضب، المتوتر والمتشنّج، بين شخصيات النص، والذي تضمن كثيرًا من السخرية والاستهزاء بالمخاطب، محاولة الطعن في قدراته ومشاعره. فيها الكثير من العاب العناد الطفلي، والشحنة الصدامية العبثية، مع أن الكبار اشتركوا في الحوار كذلك.

إذا ما أخذنا بعين الاعتبار، أن معظم فقرات الحوار تتم بين أفراد العائلة، أو الدائرة القريبة كالمدرسة، فإننا أمام منظومة فجّة لآداب الحوار

والمخاطبة والحديث العادي بين أفراد العائلة، أو في المدرسة، أو الشارع، أو بين الناس.

هذه العلاقة العنفية المنعكسة في الحوار والنبرة ونَفَس الشخصيات في النص، هل هي تحصيل حاصل لحالة من العنف السائد في المجتمع، لأنها جزء من هيكلّية اجتماعية نفسية لمجتمع أبوي ذكوري بطريركي قمعي ومتسلط؟! أم أنها حالة من تذويت الفلسطيني للعنف الواقع عليه ليلًا نهارًا من أجهزة الاحتلال؟! هل فقد الفلسطيني بوصلة مشاعره، وأضاع نفسه؟! أم أنه يترنّح في هزيمته تحت بساطير الاحتلال، وقِيَمِهِ، ومعاييره؟!

في هذا النص تتضح صورة المرأة في ثلاثة أجيال، من خلال شخصيات الجدّة، وزوجة الابن، والحفيدة.

الجدّة وقد عاصرت الانتداب البريطاني على فلسطين، وسكنت بيوت الشعر والكهوف في فترة صباها، كما كان متّبعًا في المجتمع البدوي المجاور للقدس. وقد رسم لها النص شخصية متصلبة متعنّتة، مريرة ونكدة، متعبة ومثقلة بتراث الخوالي من الأيام. وإلى جانب ذلك، فهي تجيد سرد الحكايات، وتمرير القصص المشوّقة عن تراث الأجداد. وهي الحضن الملهوف على الأحفاد. بذلك هي تقوم بالواجب الأساس لها كوكيلة رئيسة للتنشئة الاجتماعية، وللحفاظ على مكونات الهوية

الفلسطينية. شخصية الجدّة في النص محورية، لكنها تقوم بدورها مُكرهة مثقلة بالتراث، كمن يريد أن يزيح عن كاهله همًّا، ويضمن تسليم الرسالة إلى الجيل الناشئ، بأسلوب يعاند الفرح، ويخلو من البهجة، ويكابر الغبطة، ويرفض الانشراح بالجيل الجديد. إنها صورة لجيل النكبة، ونفسية الهزيمة، تقذف في وجه النشء الجديد كلّ ما لديها قائلة: خذوا، هذا كلّ ما لديّ، لا أريد أن أسمع سؤالًا ولا تساؤلًا!

علاقة الجدّة مع الحفيد الذَّكر في النص، علاقة نمطية لمجتمع ذكريٍّ. في حين اختفت أواصر الألفة في العلاقة النسوية بين الجدّة والحفيدة، كمتمّمة لرسالتها، وماشية على دربها، حتى أن النص ترفّع عن الإشارة إلى المعلوم من التعاطف والتراث النسوي الإيجابي في المجتمعات الذَّكرية.

العمل ليس مسألة اقتصادية بحتة، أو نتاجًا ميكانيكيًّا، ومساهمة مالية في أعباء الحياة المادية فقط. العمل قيمة بحد ذاته، قيمة إنسانية. زوجة الابن/ الأم، وقد جاءت صورتها في النص باهتة مسطحة، تعيش على هامش الحياة وليس الحياة بذاتها. يكتشف القارئ أن هذه المرأة تعمل خارج محيط بيتها، في حقل التعليم، في نهاية النص تقريبًا (ص91).

في هذا ما يدلّل على تهميش هذه القيمة، أهمية وقيمة عمل المرأة خارج بيتها. ويبدو في النص أن احتكاك المرأة في عالم العمل خارج البيت، جاء

عـلى هـامش حياتهـا، ولم يكـن لـه تـداعيات، أو فعـل ودور في بلـورة شخصيتها.

في هذا النص يكتشف القارئ العلاقة النفعية الّتي تربط بين الجدّة وزوجة الابن؛ فهو يختزل علاقتها بمساعدة الجدّة على تنشئة الأحفاد. فالأمّ "تستشعر خسارتها الشخصية بفقدان الجدّة... الّتي ساعدتها في تربية الأطفال ورعايتهم وساعدتها في الأعمال المنزلية... صحيح أنها كانت تتمنى لو أنها لم تشاركها العيش في نفس المنزل..." (ص91).

لكن النص، وعلى كلّ مداه، أبطن، ولم يظهر ما تعنيه هذه الأمنية المركزية والمعششة في خبايا نفس الأمّ، وكيف تشكّلت وتبلورت علاقة المرأتين في ظل هذه الأمنية، الّتي عادة ما يكون لها ثقل نوعي خاص في نسيج العلاقة الأسرية، من قبول ورضوخ ورضًا، أو نفور وتشكيك وخصام مستحكم. تبدو الأمّ في هذا النص ممثلة لجيل النكسة؛ الجيل الصامت، الذي يؤدي دورة الحياة في الطبيعة. يبتلع كلّ ما يجده من عثرات، أو حتى فتات، ثم يترك بَوَاقيَ الحياة للآخر. وهي لا تدري بالضبط من هو الآخر، المهم أن تجري المقادير في أعنتها، وتنام هي خالية البال. جيل احترف الصمت والسكون، ولا يزال قابعًا تحت هول الصدمة؛ صدمة النكسة، إلا من بعض مواقف التهكّم، والسخرية، والإحباط.

الحفيدة، في بداية النص، كانت في السادسة من العمر. تأخذ مكانة محورية في النص. وجاءت صورتها في النص عنيدة، متأففة، متعنتة إلى حدّ الصلف والعنجهية. لا تقبل الاعتذار من معلمتها، وتمعن في إهانة المعلمة الّتي أخطأت، حتى بعد أن اعتذرت هذه عن خطئها (ص12-14). كذلك جاء نسيج علاقاتها الإنسانية مع المحيط سلبيًّا، مثلًا من خلال مناكفة سلبية مع المعلمة والمديرة (ص62-63)، مناكفات، واستهزاء، وسخرية مع أخويها (ص27، 66)، ومع الجدّة كذلك (ص38).

وهي كثيرة الأسئلة، لجوجة إلى حدّ الإثقال، الذي يدفع بالمجيب إلى التأفف ونفاذ الصبر، والشعور بالضيق والضجر. أو يدفعها هي إلى السكوت غير راضية، والضيق لعدم اكتفائها بالإجابات.

الشخصيات النسائية الثانوية، فجّة غير يانعة، كالمعلمات، أنموذج للشخصية المسطّحة، الّتي لا تجيد القيام بمهام مسؤولياتها، مثل المعلمة والمديرة.

شخصية الأب، تتميز بالبعيد القريب، فهو القريب الذي يجيب على الأسئلة كافة ما دام يملك الإجابة، ولكنه يبتعد ويستنكف ويتصومع إذا ما أثقلت عليه الأسئلة، وهو الذي يضبط إيقاع الحدود بين الأبناء، وهو المتعقّل الذي يشرح القصص الغيبية بأسلوب "عقلاني"، وهو الذي

يشجّع الابن على التجربة، ولا يستهزئ بقدراته. إنه الشخصية الإيجابية في تعاطيها مع المواقف، وهو الشخصية الملهمة والقائدة للعائلة، والضابط لإيقاعها.

للمفردات معان يستحسن أن تأخذ مكانها الملائم، وتوضع في سياقها المناسب.

في النص كثرت نقلات دراماتيكية تهويلية لا يحتملها الموقف، ودون سابق تمهيد. فقد كثر استعمال المفردات التصعيدية، في نقلة مفاجئة سريعة وعريضة؛ دون ما يبرّر ذلك، الأمر الذي ضعضع إيقاع الحدث. على سبيل المثال، لا الحصر، في عنوان "تجربة فاشلة"، يبدأ النص بمفردة "ذُهِلتْ"، ثم كانت "غاضبة.."، ثم "فغرت المعلمات أفواههن..."، ثم وبنقلة تصعيدية صلفة، لا تقيم وزنًا لآداب المخاطبة بين التلميذ والأستاذ، تجيب التلميذة على سؤال عادي بسيط: "هذا ليس شأنك". ولاحقًا "غضبت... وصرخت المعلمة... وهرعت المديرة..."، ولم يبق سوى أن يحمى وطيس المعركة، وينتقل إلى العنف الجسدي، ولكنه بقي يتأرجح بين العنف والتعنيف الكلامي، وبين المداهنة والرياء. هناك قفزات مباشرة بين مفردات مثل حبيبتي، وبين الصلافة والعنجهية والقمع النفسي، إلى أن يهبط الإيقاع إلى جمام الأرض، بإيقاع صاخب يحدث قرقعة في نفس القارئ، وذلك دون سابق إيعاز، كما في عنوان

"الحواجز"، تنتقل الجدّة من البكاء والترديد، إلى الضحك قهقهة (ص80)، في تحوّل نفسي سريع ومفاجئ دون مقدمة أو تمهيد، وكأنه تحوّل ميكانيكي، لا ترافقه مشاعر، ولا حالة نفسية.

الفصل الأخير من النص بعنوان "الجدار" جاء مبتورًا، وكأنه كما قال المثل الشعبي "قصة ما إلها ذيل". اقتحم النص على غير استئذان، تمامًا كما اقتحم الجدار حياة الفلسطيني في المناطق المحتلة دون مقدمات.

سامي الجندي:

صراع الأجيال في رواية "عش الدبابير"

"عشّ الدبابير" رواية للفتيان، لكنها تصلح لكلّ الأعمار. هي رواية اجتماعية، ووطنية، وتاريخية، وفيها، أيضًا، روعة الاتصال بين الأجيال المختلفة؛ الأحفاد والآباء والأجداد. وفي الرواية يكمن الحسّ المرهف للكاتب في استجلاء وتبيان الشرّ والخير، والخزعبلات والحقيقة، والقوة والعدالة.

لقد نجح الكاتب في تغذية الرواية بقصص شعبية تخدم الفكرة، مثل قصة الكهف المسكون، والثعلب وقانون الجور، وقصة الوزير والضريبة.

الجيل الجديد تمثله رباب وفراس، وهما من أبطال الرواية، فيهما انطلاقة الشباب وروح البحث والعلم والتحدّي، بينما جيل الآباء ممثل

بصفية ومازن، وهما يمثلان حلقة الوصل بين الجدّة عائشة، الّتي تعتبر بطلة رئيسة من أبطال الرواية، وبين أحفادها رباب وفارس.

مازن وصفية همّهما تربية الأبناء التربية الصالحة، وتوفير الأجواء الصحية لصقل شخصيتهم بالعلم والمعرفة، مع احترام العادات والتقاليد بما يتلاءم مع روح الحقيقة والعدل والأمان. هما يعلمان حقًّا بأن فراس وأصدقاءه هم من أشعلوا النار أمام الكهف، حيث وليمة العصافير، وليس العفاريت والجن، لكن يجب احترام الجدّة والرجال الكبار حتى وإن فهموا الأمر بصورة مغلوطة.

شخصيات الرواية جميعها من منطقة القدس (السواحرة- المكبر)، والكاتب نجح في رسم صورة لباب العامود أيضًا في سنوات السبعينيات والستينيات، حيث كانت بائعة الفستق السوداني تتربع تحت قنطرة الباب ورائحة تحميص الفستق تفوح فتجتذب الزبائن.

في الرواية برز الشر بوضوح ممثلًا بالاحتلال الصهيوني، وممارساته، وآثاره الإجرامية، كالحواجز، والجدار، ومصادرة الأراضي، والضرائب، والتعدي بسبب وبلا سبب على كلّ ما هو فلسطيني، بلا تفريق بين كهل كبائع البرقوق، أو صبي صغير كفراس.

الرواية تصلح للمكتبة العربية عمومًا لتعريف الإنسان العربي إلى عادات وتقاليد وحياة أبناء جلدته الفلسطينيين قبل الاحتلال الصهيوني

وخلاله، وهذه كلّها تشكّل قاسمًا مشتركًا مع معظم العرب، وتصلح أيضًا للمكتبة الفلسطينية خصوصًا؛ كون الإنسان الفلسطيني سيجد فيها حين قراءتها أشياء يعلمها، وأخرى هي تفسير لأشياء قد يتساءل عنها أو سمع بها.

العدالة والقوة.. العدالة تأخذ الوجه الخاطئ حين تمارس من قبل الاحتلال الذي نراه ينتهك العدل بكلّ قذارة وصلف. بينما العدالة تأخذ شكل التسامح العربي الأصيل حين تكون القوة بين إنسان صالح مثل الشيخ أبي سمير حين سامح سائق الفورد. لقد كان مثالًا أنموذجيًّا، والتسامح كان مائة بالمائة وليس مجزءًا، ولم يترك للاحتلال وقانونه أيّ مجال لمحاكمة السائق.

أعتقد بأن الكاتب نجح في صياغة أفكاره دون رمزية مغرقة حول كيفية العلاقات، أو كيف يجب أن تكون العلاقات بين أبناء الشعب الواحد. فالمثال الجيّد كان على لسان الجدّة عائشة حين روت كيف كان أهل شفا عمرو والجليل يعاملونهم بلطف وكرم وقت أن حطت بهم الرحال بجوار شفاعمرو، والكاتب كرر جملة "إن الظلم لن يدوم" عدة مرات، وهذا تأكيد إيجابي، بل وقد دعم هذه الحكمة بحديث نبوي شريف "حول الجراد وبيت المقدس".

عودة قصيرة إلى صراع الأجيال:

الجيل الجديد، مع أنه باحث وسريع التفكير والقرار والسؤال؛ إلا أنه عنيد في بعض الأحيان، كرباب حين رفضت دموع المعلمة واعتذارها.

الجيل الجديد يخضع أفكاره للتجربة كرباب وأجوبة امتحان الرياضيات، وفراس مع الجاذبية. الجيل الجديد شجاع إلى درجة التهوّر كما بدا في تجربة عش "الدبابير".

الجيل القديم، كالجدّة عائشة، لا يناقش حديث الكبار، ويأخذه كأمور مسلم بها، مثل حكاية وادي الدكاكين والعفاريت، لكن لا يخلو من الحكمة، مثل رأي الحاجة عائشة حول عش الدبابير، لو لم تهاجم من قبل الفتيان لما دافعت عن فراخها وعشها فلسعتهم.

الجيل الوسط، كالأب والأم، هم جيل ضائع بين القديم والجديد، ويحاول التوفيق بين العلم والفكر من جهة، وبين العادات والتقاليد من جهة أخرى، ويحاول إعطاء الأبناء فرصًا أكبر للخروج من دائرة الخزعبلات والمسلمات غير الصحيحة إلى دائرة العقل والتحدي.

يبقى أن نقول إن الرواية جميلة وهادفة، ولا يُؤخذ عليها سوى إخراجها وغلافها غير الموفقين.

مروان راتب حمد:

"عش الدبابير".. رواية واقعية بامتياز

رواية تستحق القراءة، سواء من الفتيان أو ممن هم أكبر سنًّا. رواية تربوية هادفة، كتبت بأسلوب شيق وجميل لتحكي قصة عائلة فلسطينية تعيش في مدينة القدس، وتدور أحداث الرواية في هذه المدينة، لتعرّف القارئ إلى حياة أهلها، وعاداتهم، وتقاليدهم، وأسلوب حياتهم، من خلال وصف الكاتب للمدينة والقرية، وحياة الناس، وتراثهم، وقصصهم الشعبية الّتي ترويها الجدّة للأبناء والأحفاد.

يعرّفنا الكاتب إلى حياة الفلاحين في الحقول، وكيف كانوا يمضون أيامهم في الزرع والحصاد. يعرّفنا إلى أمثالهم، وأغانيهم الشعبية، ومعتقداتهم، كما يعرّفنا إلى مزروعاتهم المتنوعة.

يصف الكاتب، أيضًا، حياة الفلسطينيين في القدس في الوقت الحاضر، وما يعانونه من جراء الاحتلال، كما يصف التغيّرات الّتي طرأت على هذا المجتمع نتيجة للظروف الّتي مرّ بها، وظروف الاحتلال الإسرائيلي خصوصًا.